عسلية

وقصص أخرى

أحمد فؤاد الهادى

الطبعة الأولى
الكتاب : عسلية
المؤلف : أحمد فؤاد الهادى
تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية
تصميم الغلاف : أحمد فؤاد الهادى
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٢ × ١٧
رقم الإيداع : ٢٠٦٨١ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 124 - 6

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم
بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

أصحاب التل

بينما كان أقرانه من الأطفال يلهون ويلعبون في الإكوابارك المبهرة بألوانها وتجهيزاتها ويجربون كل ألعابها التي تفضي بهم في نهايتها إلى البيسين المصمم على شكل قلوب متداخلة يترقرق فيه ماء صاف مطهر بالكلور ومنقى بالفلاتر الصحية فيكتبون بأجسادهم الغضة على هذا الماء المدلل صفحات من حياتهم وكأنهم يعدونها لما هو آت من ترف العيش ورفاهية الحياة والحصول على كل شئ قبل أن يفكروا فيه وتختفي أحلامهم طواعية لعدم حاجتهم لها.

بينما هم في ذلك كان المسكين غارقا في موجة من الضحك على قفشة سمعها من زميله وهما يعتليات تلا من القمامة تفوح منه رائحة العفن التي علقت بثيابهما المهلهلة بل وبجلودهم أيضا حتى ألفوها وصارت تلك هي رائحة الحياة الطبيعية. ما أن هدأت نوبات الضحك حتى حلت على وجهه ابتسامة بدت مشرقة ومعبرة عن الرضاء التام، فعاد

ينبش بأصابعه الصغيرة في هذا التل فيلتقط كل ماهو مصنوع من البلاستيك ويلقيه في قفة كبيرة إلى جواره.

قال لزميله الغارق في كومة من الكرتون المزق:

— عارف يانظيف .. أنا لازم أخلص بدري عشان رايح مع أمي القرافة.

رد عليه وعيناه مسلطتان على الكرتون ويداه لم تكفا عن التقاط الكرتون وحشره في جوال ضخم :

— هو انتوا كل يوم عندكوا ميت؟

رد سعيد الذي يبدو أنه لم يكن سعيدا بتهكم صاحبه:

— يا ابنى أمي رايحة تزور أبويا في القراقة وقالت لي لازم تيجي تزور أبوك وتقرا له الفاتحة.

سأله نظيف باستغراب:

— هو انت أبوك قاعد في القرافة ليه؟

رد سعيد بحنق:

— يا ابني ميت مرة قلت لك أبويا ميت .. يعني ميت ومدفون هناك .. على فكره معاه خالي وجدي، بس أمي بتقرا له هو الفاتحة لوحده. بتقول لي إنه كان شغال في المجاري وزي الفل وان خالاتي كانوا بيحسدوها عليه.

سأله نظيف باستغراب:

— طيب ليه سابته يموت؟

رد سعيد بحسرة:

— جاله المرض الوحش وماكانش عندها فلوس تعالجه.

كان الحديث شيقا يتبادلانه وأيديهما لاتكف عن الالتقاط وكأنها ماكينات مبرمجة ، حتى إذا امتلأت قفة سعيد وجوال نظيف التفت كل منهما إلى الآخر وعلقا حملاهما على ظهريهما بحرفية ويسر وأخذا يخوضان بأقدامهما الحافية المسودة أمواج بحر القمامة في طريقهما إلى سفح التل انتظارا لسيارة المعلم لتقلهما بما يحملان إلى حيث المقلب ليفرغ كل منهما

مـافي جعبتـه في المـكان المخصـص لنوعيتـه ويقبضـون الثمـن طبقـا للميـزان الـذي يشـرف عليـه مسـئول المقلب.

كان سـعيد في عجلـة مـن أمـره، يـود أن يطـير ليفـي بموعـده مـع أمـه، ولكنـه كان مضطـرا لانتظـار سـيارة المعلـم عندمـا تأخـذ طريقهـا عائـدة إلى قلـب المدينـة.

جلسـا في ظـل سـور المقلـب يلفهمـا الصمـت وعلـى وجهيهمـا بـدت علامـات الشـرود فاكتملت لوحة التشـرد الـتي رسمتهـا ثيابيهمـا وتعطـر الجـو بريحهمـا العفنـة.

تحدث نظيف وهو متمسـك بشـروده وبصره معلق بلاشئ:

- عـارف ياسـعيد، أنـا أبويـا راجـل طيـب قـوي، سـواق علـى عربيـة تاكـس بتاعـة واحـد جارنـا، طـول النهـار بيلـف وسـاعات طـول الليـل كمـان، عـارف ياسـعيد.. بيقـول لـي سـاعات نـاس تعاملـه وحـش أو يشـتموه حتـى، وهـو بيخـاف علـى عربية الراجـل اللـي بيـاكل منهـا عيـش .. مابـيردش عليهـم، بيقـول لـي بابتسـم لهـم يـا ابـني عشـان

اليـوم يعـدي وأرجـع في ايـدي لقمتكـم. عـارف ياسـعيد ... أمـي عمرهـا ماسـابته في حالـه، دايمـا منكـده عليـه، كان الأول بيعاتبهـا بالراحـة.. هـي زادت لحـد مابقـي مايـردش عليهـا، أنـا عـارف أنـه بيتكسـف منـى أنـا واخواتـي لـا تطـول لسـانها عليـه وهـو مايـردش .. دا سـاعات حتـى يبتسـم.

سأله سعيد مندهشا:

— وهي أمك بتعمل كده ليه؟

ابتسم بمرارة:

— عايـزة تبقـى هـي المعلـم، يعـني تبقـى هـي الريـس في كل حاجـة، بـس خلـي بالـك .. هـي مابتقولـش بـس أنـا واخواتـي فاهمـين، أنـا باحبها بس نفسـي أروح مالاقيهـاش عشـان أبويـا بيصعـب علـيَّ.

أطلقـت سـيارة المعلـم أبواقهـا المزعجـة إيذانـاً بقـرب رحيلهـا فانتفضـا وكأنهمـا ينفضـان ذهنيهمـا مـن كل مـادار بينهمـا وتبـادلا الضحـكات في مـزاح كثـيرا

مايجمعهما، واتخذا طريقهما إلى حيث تقف السيارة وشعرا بالسعادة وهما يحتلان مكانا رحبا في صندوقها الخلفي الحافل بالبروزات الحديدية القاسية بعد أن أفسحت لهما القمامة المكان وكأنها أمهما الحنون.

لم تكن البيوت تعني شيئا لهما سوى أنها المصدر الأساسي لتلك القمامة التي توفر لهما دخلا معقولا يمكنهما من الاستمرار في هذه الحياة، ولكن إحساسا غريبا كان يملكهما في آن واحد يجعلهما يشعران بأنهما في انتظار شئ ما لايعرفون كنهه ولكنه سيبدل حياتهما إلى شكل آخر لايعرفونه ولكنهم يدركون أنه أفضل بكثير مما يعيشانه، وكثيرا ماتصارحا بهذا الخاطر ولكنهما لم يدركا له تفسيرا.

التقيا ككل يوم فوق تل القمامة المرتفع في الجانب الأيمن للطريق الذي يشق منطقة سكنية راقية، ارتفاع التل يقارب الدور الأول للعمارات المجاورة، لم يحاول أي منهما أن يسترق البصر أو السمع إلى النوافذ المفتوحة التي تطالها أعينهما وأسماعهما من

فـوق التـل لـو أرادا، ولكـن ذلـك لم يكـن يمثـل لهمـا شـيئا يسـعيان إلى معرفتـه وكان كل همهمـا هـو جمـع أكـبر كميـة ممكنـة مـن نوعيـات القمامـة المفضلـة لديهمـا والـتي تخصصـا فيهـا.

لم يكـن ليشـاركهما أحـد في مكانهـم هـذا سـوى قطـط الشـوارع الـتي تسـعى في أنحـاء التـل بحثـا عـن لقمـة العيـش، وكانـا يتعجبـان مـن أمـر هـذه القطـط ، فمـا التفتـا ولـو مـرة واحـدة إلى أي منهـا إلا وجـداه يمضـغ ويبتلـع فيتعجبـان ويتسـاءلان:

— كيف للقط بهذا الرزق الوفير؟

تساءل نظيف:

- لـماذا لانبحـث نحـن أيضـا عـن طعـام يناسـبنا في هـذا التـل؟ لـماذا نكتفـي بجمـع الكرتـون والبلاسـتيك؟ مارأيـك ياسـعيد؟

لمعت عينا سعيد وهو ينظر لنظيف قائلا:

— قصدك يعني...؟

وظهر الحماس على نظيف وهو يشير إلى برتقالة كانت تحت رجل سعيد تماما:

— خد ياسيدي ..آدي برتقانة تحت رجليك .. مالها .. آهي زي الفل.

قالها وهو ينحني ويأخذ البرتقالة التي قشرها بأسنانه ثم قسمها بيديه المتسختان فأضفى عليهما من رائحة القمامة النتنة ماأخفى رائحة البرتقال، ومد يده إلى سعيد بالنصف وهو يدس النصف الآخر في فمه ولم يتح مجالا لتردد صاحبه فدس في فمه نصيبه، وسالت قطرات من عصير البرتقال من فميهما فشربت ملابسهما الرثة شيئا نظيفا لأول مرة.

القطط تروح وتجئ، ويتشاجر بعضها مع البعض في صراع على لقمة شريفة، إلا أن هذا القط يتحرك وكأنه يزحف على بطنه والرعب يملأ عينيه، ويبدو أنه حتى فقد القدرة على المواء فكان يئن بصوت

كسير منخفض، فلتفتا إليه فإذا هو مختلف تماما عن كل القطط التى يعرفانها جيدا، شعره ناعم ذو ألوان لم يريا مثلها من قبل، ذيله سميك يكسوه شعر كثيف، وجهه كوجه طفل جميل، حتى أن سعيد نفض يديه ومسحهما بخرقة لمحها تحت قدميه قبل أن يهم بلمس هذا القط الخيالي. قلب نظيف فيما جمعه من كراتين حتى اهتدى إلى واحدة يمكنه أن يصنع منها صندوقا يحفظ فيه هذا المخلوق البديع، وما أن أعد صندوقه حتى وضع سعيد القط فيه بمنتهى الرقة والحرص والتفت إلى صاحبه:

— إنه جائع، لقد أكلنا مما جادت به القمامة مثلنا مثل القطط التي حولنا، أما هذا فمن أين لنا بطعام يليق بمقامه؟

قال نظيف:

— أنا عمري ماكنت في نظافته حتى لما باستحمى!! دلوقتي هتلاقى حد جاي يدور عليه.

وضعا الصندوق جانبا، وعاودا عملهما بهمة ونشاط إلى أن ترامى إلى سمعهما صوت رقيق ينادي:

— دودي .. دودي.

وشعرا مع النداء بحركة القط يتخبط بجدران الصندوق فاستقاما في وقت واحد وتبادلا نظرات سريعة وكأنهما يتحاوران، تكرر النداء الرقيق وتبعه صوت حركة القط فسارا في اتجاه الصوت ليريا فتاة لم تبلغ العشرين بعد، فاتنة الجمال منمقة المظهر تخفي عينيها خلف نظارة عسلية اللون، انتظرا حتى تكرر النداء فلوحا لها حتى نظرت إليهما وبادرتهما:

— بادور على دودي .. قطة سيمون .. شوفتوها؟

فهما كل شئ إلا كلمة سيمون تلك، ولكنهما لم يهتما كثيرا بعد أن تأكدا أنها تبحث عن الأسير ساكن الصندوق، هزَّا رأسيهما في آن واحد، وحمل نظيف الصندوق بحرص زائد وهبطا معاً إلى حيث

تقف فأسرعت تنظر في الصندوق وكادت تطير فرحا وهي تصرخ :

— دودي حبيبتي .. روحتي فين يامجرمة ..

واحتضنت قطتها وهي تنظر إلى المسكينين بسعادة لم يعهداها من البشر وتقول:

— لازم تيجوا معايا عند بابا ..

وقبل أن يرد أي منهما ، التفتت إلى حيث توقفت سيارة فارهة يقودها سائق وفي مقعدها الخلفي جلس والدها أيمن بك السنجابي ضخما فخما وهو يتابع ابنته من نافذة السيارة وفهم مما رأ ى أنها قد عثرت على قطتها.

طارت جودي إلى أبيها فرحة، وتمسحت بكتفه وهي تقول :

— بابي لازم تكافئ الولاد دول.. أنا عايزاهم يحضروا عيد ميلادي عشان أحكي عنهم

لأصحابي .. عشان خاطري يابابا.

تعجب الرجل من طلبها، فعيد ميلادها بعد أسبوع ويحتفلون به كل عام في القرية السياحية التي يمتلكها الرجل في الغردقة، تعجب الرجل كيف يحقق لها طلبها، كيف يدخل أمثال هؤلاء الزبالين «سنجابي ريزورت» ذات النجوم الخمس ، فقد يصابا بصدمة عصبية، وقد يصيبون نزلاء القرية بصدمة عصبية أيضا. لكنه وتحت إلحاح ابنته الوحيدة وجد عقله وقد بدأ يدبر الأمر حتى ينقله من المستحيل إلى الممكن، فلما اكتملت فكرته في رأسه، التفت إليها في حنان وحب وهو يقول:

— حاضر ياروح بابا.

احتضنته قدر طول ذراعيها وأمطرته بالقبلات وسألته:

— أنده لهم؟

فاومأ برأسه موافقا، سارعت عائدة إلى حيث كانا يتابعان مايجري، عندما أصبحت على بعد خطوات ملأت رائحة القمامة النتنة أنفها وغلفت كل شئ حولها وتاهت رائحة العطر النادر الذي تعشقه، فتوقفت فجأة وهمت بالرجوع، توقفت للحظات وهي تسأل نفسها: كيف لم تشم هذا العفن عندما كان لها مطلب تسعى إليه؟ كانت قد استدارت بالفعل إلا أنها أشفقت على هذين المسكينين، فالتفتت برأسها فقط ونظرت إليهما وكأنها تعتذر لهما عن الدعوة التي لايعرفان عنها شيئا ثم جرجرتها ساقاها إلى حيث أبيها الذي ألهمه ذكاؤه أن يتركها هي تلغي فكرتها ويظل هو صاحب فضل القبول. ربت على كتفها وهو يقبل خدها ويقول:

— عيد ميلاد سعيد ياجودي.

★★★

إلا كلمة

نشرت بجريدة الأخبار المسائى في ٢٠١٥/٤/٥

رأيته شاردا صامتا مظلما مكتئبا، وشعرت بمعاناته وهو يكبت دموعا طاغية تحاول أن تتدفق من عينيه، أعرفه عصفورا مغردا يحبه الناس أينما ذهب وينصتون لكل كلامه وتهتز مع نبراته رؤوسهم تأثرا وتأييدا، فهو قريب جدا من قلوبهم ويحدثهم بما يشعرون به وعجزوا عن وصفه أو التعبير عنه.

لم أتخيل يوما أنه سجين قفص لايراه غيره، قضبانه جمر وأرضه لجين، يكتوي بكل أركانه ويمنعه كبرياؤه من الصراخ والتأوه، اللهم أنات مكتومة لايكاد يشعر بها إلا الملاصق لقلبه. رآني وهو جالس إلى طاولته بعد أن قضيت لحظات شاخصا أمامه وهو منهمك فيما يكتب، ولكنه توقف فجأة وكأن كلمة قد تحشرجت في صدره فأبت يده أن يخطها يراعه، رفع إليَّ عينيه من

خلف نظارته فلمحت فيهما دموعا قد تحجرت.

سألته:

— مابك؟

فما أجابني، بل سحب الورقة التي أمامه إلى ناحيته وكأنه يخشى أن ألمح مافيها. أعدت عليه السؤال بنبرة استشعر فيها إصراري ولمح فيها انفعالي وتأثري فطأطأ رأسه وزج إليَّ بالورقة وغادر مقعده ودلف إلى ركن بعيد. جحظت عيناي وأنا أركض بين الكلمات التي شيدها على تلك الورقة الملتهبة وشعرت أنني أفر بينها من وحش قد أطلقه من جوفه المكلوم خائفا أن تفتك بي الكلمات والحروف. قرأت وكأنني أسمع بصوته لابصوتي:

لست ثعلبا اقتنصتموه بسهامكم، فتنزعوا أحشاءه من جوفه وتحشوه قطنا وقشا ليصبح تحفة تباهون بها ضيوفكم وتدللون بها على شجاعتكم. لست

ثعبانا سقط في شراك نصبتموها فتسابقتم لاستخلاص سمه ترياقا وسلخ جلده ودبغه وتجنون من ورائه أموالا تترفون بها حياتكم. لست متهما ثبتت إدانته بحسن الطوية وطيبة القلب ورقة المشاعر فحق عليه الحكم بالعيش خارج الحياة. لست عملا خطه مشعوذ أو ساحر برموز مبهمة رسمها بمداد أحمر على ورقة طواها بين أيديكم سرا وأوصاكم بأن تحرقوها في التيه وتذروا رمادها على قمم الجبال حتى يصيبكم الحظ وسعة الرزق. لست كبشا تنحرونه قربانا وتقربا لمن تحجرت قلوبهم وضلت ألسنتهم وضجت صدورهم بالحقد والغل فاكتوت منها قلوبكم وأسماعكم وأعينكم، تنشدون منهم الرضا وهم الذين لن يرضوا حتى لو نحرتم أنفسكم بين أيديهم. لستم أنتم فقط أصحاب الحقوق يامن ترتضون لي حياة الشقوق، فهل بعد هذا الظلم ظلم؟ وهل بعد هذا .....

وهنا توقفت كلماته فتوقفت لبرهة، وبقيت كلمة ثقل عليه كتابتها، صحت وأنا لاأقصد الصياح:

— عقوق ....

وأكملت عبارته:

— وهل بعد هذا عقوق؟

★★★

ليكن ذلك غدا

القصة الحاصلة على المركز الثاني في مسابقة

دار ضاد للنشر لسنة ٢٠١٥

الـتي خلعـت ملابسـها لـك بالأمس..هـي نفسـها الـتي تحـاول اليـوم أن تخلـع رأسـك مـن فـوق كتفيـك.

هل هذا عقل ؟ .. سألتها .

كيف لاترى أن هذا هو عين العقل ؟ أيها الأحمق.

كانـت تؤكـد لـي أنهـا أنثـى .. تركتـني أفعـل بهـا كل مـا أريـد وأحيانـا مـالا أريـد .. وحـين تيقنـت أنـني أقـررت بأنوثتهـا أسـدلت السـتار علـى جسـدها .. تنكـرت لوعودهـا .. كشـرت عـن أنيابهـا .. وبـدأت رحلـة الهبـوط ولكـن علـى منزلـق مـن الوحـل. تجربـة مثـل ألـف تجربـة ... طبعـات متتاليـة لكتـاب واحد .. ولـكل طبعـة لغـة مختلفـة ....قرأتـه باللغـة الأولى التـى أجيدهـا .. لم ترضـني النهايـة .. وقعـت عينـاي علـى طبعـة بلغـة لاأعرفهـا ..تشـبثت بهـا ..بذلـت جهـدا خارقـا لأتعلـم تلـك اللغـة الجديـدة ..كنـت مصـرا علـى قـراءة الطبعـة الغريبـة .. بـدأت القـراءة بنهـم وارتيـاح

.. بـدأت الهواجـس ..تبعتهـا الأحاسـيس وأكدتهـا المفارقـات والمواقـف .. الشـك يـزداد رسـوخا علـى أرض الحقيقـة .. لابـد مـن طـي الكتـاب قبـل الوصـول للفصـل الأخـير حيـث المقصلـة والضـرب بالحـذاء.

قبـل أن أفيـق كانـت يـد الواقـع مطبقـة علـى عنقي...ألم تقرأ هـذه الصفحـات مـن قبـل ؟! ... مـت قبـل أن أجيـب .. لم يحضـر أحـد للعـزاء ..

عنـد المقابـر .. تجمعـت النسـاء مـن كل لـون يتبادلـن نظـرات الحقـد والغـيرة والحسـد لأتفـه الأسـباب ..القرط ..السـوار ..حتـى النعـال .. وكلهـن يتبسـمن في دلال .. لم يأتـين لتشـييعي .. فـكل لديهـا قتيلهـا .. صاحبـتي شـامخة القامـة بينهـن .. رشـيقة القـوام .. تلحـد قتيلهـا في هـذا الصبـاح المشـرق الجميـل. لفائف الكفن لم تسـتطع أن تحجـب نظراتهـا عـني .. عشـقت هـذه النظـرات .. أعتقـد أنهـا لـن تمـوت .. هـي خلقت فقـط لتقتل السـذج مـن أمثالـي. هاهـي تفتـح بـاب القـبر وتسـتعد لإلقائـي في غياهبـه. ياللعجـب !!! ..مـاكل هـذا الزحـام؟ ...

لقد سبقني إليه كثيرون، ركلتني دون رحمة حتى تعقدت أمعائي حول قلبي .. بؤرة الغباء التي تسكن صدري .. مازال ينبض ..بماذا ولماذا .. لاأدري ..

فى الخارج .. هبت رياح شديدة أثارت التراب والرمال في كل المكان ... صوت الرعد يدوي .. من آن لآخر تلمع أسنان النساء بالوهج الخاطف للبرق ... أسمع وأرى وأنبض ..لم أمت إذن ؟؟ ولكني أعاني من موت غريب جديد، حاولت أن أتلفت .. أن أستغيث .. ولكن مع هذا الكفن اللعين ..هيهات.

لمحت في جمعهن كتابا لم أقرأ مثله من قبل .. تمنيت قراءته..لمحتني صاحبة الكتاب .. بل أعتقد أنها سمعت مايدور برأسي رغم أكفاني. تقدمت على الفور .. فكت عني الأكفان .. أخذت في خلع ملابسها .. فاضت رائحة العطر وملأت الابتسامات المكان .. ذهب الجميع .. سكنت العواصف والرياح وانقشعت الغيوم. هو صباح جميل إذن ..نفضت عني تراب القبر .. أعادت أمعائى إلى مكانها حتى

يتفرغ القلب لمهمته .. فعلت كل شئ ..وأنا أطالع صفحاتها بنهم .. فجأة .. طوت الكتاب وأنا ممدد بين صفحاته .. صرخت ..قالت :

— سأحتفظ بك في حقيبة يدي .. ستكون صفحة في كتابي .. فإنني أغار عليك حتى من تراب القبر .. هنا موت وهناك موت.

تسابقت الكلمات بل والسطور التي يحفل بها الكتاب لتنهش لحمي ..سمعتها تشن حملة جديدة للخداع ..ضحية جديدة؟ ..حزنت .. فلامكان في كتابها الآن لغيري ..سيأتى من يزاحمني حتى في الموت والهلاك ..

سمعتها تقهقه ..وأخذت تقلب الكتاب بين يديها وكأنها توقظني:

— ياأبله .. عندما يأتي لن تكون هنا ..فبعد حين ستكون مدادا لكلمات جديدة ويخلو المكان ..

أطاحت بالكتاب على طول يدها ..استقر على

شئ رخو ..تسللت رائحتها التي أعرفها إلى أنفي المحشور بين الكلمات .. لعلها تتزين لغيري ..

موت الآخرين متعة حياتها .. والضحية الجديد ضخم الجثة .. يلهث كالكلب ..كلما خلعت قطعة من ملابسها ازدادت عيناه جحوظا .. مد يده محاولا لمسها .. تراجعت في دلال بالغ ..لم يبق على جسدها سوى القطعة الأخيرة ..ذاب الغبي وسال لعابه حتى انزلق فيه .. ضحكت بنشوة المنتصر ..تقدم نحوها بلا وعي ..اندفع .. تمنعت ..بلاوعي مزق ماتبقى عليها حتى لم يبق سوى شريط مهلهل حول خصرها تتعلق به أشلاء من نسيج أحمر شفاف ..

برزت معالم الموت .. اندفع المسكين كالبركان ..فاضت نشوتها وهي تسمعه يصرخ منزلقا في طريق ليس له نهاية ..خفت صوته .. ثم تلاشى. اعتدلت من رقدتها .. مدت يدها وسحبته مغشيا عليه ..قد يكون ميتا .. ألقته بجانب السرير ..

عندما نهضت لم تعبأ به .. طالعت وجهها وجسدها في المرآة المجاورة .. تحسست نهديها ..حاولت أن أقفز إلى حيث كانت ..تمنيت أن أموت ألف مرة إذا كان الموت بهذه الروعة.

كعادتها .. سمعت أفكارى .. لسعتنى بابتسامة ماكرة ثم تركت المكان كقائد يخرج منتصرا من الميدان بعد معركة قد حسمها بأطراف أصابعه ..

في الكتاب ..قتلى وشهداء وأشلاء .. سأغفو قليلا ريثما تعود ..زلزلني دفؤها حين عادت .. لم أشعر إلا وهي بين أحضاني ..تصهرني وتعيد صياغتي ..هي الموت والحياة إذن ..فاض كل شئ .. شرعت في قراءة الكتاب، استوقفتنى بكلمتين :

— ليكن ذلك غدا.

★★★

يوم الحذاء

أربعة أيام وتنتهي الإجازة الصيفية ويعود للمدرسة. يعيش خيالا مستمرا منذ أن وطئت قدماه مدرسة القرية قبل ست سنوات. عندما أنهى عامه الدراسي الأول تخيل أن الإجازة الصيفية مثل دكان يرعاه موظفون وعمال يتوافدون في آخر أيام العام الدراسي لفتح دكانهم للتلاميذ ويدعون الأطفال للدخول ليوزعوا عليهم مايستمتعون به طوال إجازتهم، فيسارع الأطفال بالدخول مرحين فرحين، فمنهم من يفوز بدمية جميلة أو لعبة تتحرك، ومنهم من يفوز بعدة أيام يقضيها بالمصائف مع أسرته، وغيرهم يفوزون بجولة سياحية في العالم الخارجي، وهناك آخرون لايتبقى لهم سوى أن يعملوا ويكدوا في الحقول من الصباح الباكر حتى الغروب ليعولوا أنفسهم وأسرهم التي كابدت طوال العام الدراسي لتضمن لهم أقل القليل من الأكل والشرب طوال العام

الدراسي. كان عمل هؤلاء أيضا ضروريا ليوفروا مايلزم استعدادا لعام دراسي آت بعد حين. صاحبنا كان دائما من هذه الفئة الأخيرة التي لم يكتب لها إلا الشقاء.

هاهو يلمح موظفي وعمال دكان الإجازة الصيفية يلملمون أغراضهم ويتبادلون النظرات فيما بينهم وكثيرا ماينظرون إلى تقاويم معلقة على الهواء يترقبون لحظة إغلاق الدكان.

كان مبتسما راضيا، ذكيا متفوقا، لايعرف الدروس الخصوصية ولا الكتب الخارجية أو حتى مجموعات التقوية زهيدة التكاليف ،أو أنه لم يحاول أن يعرف كل ذلك، فقد أغدق الله عليه من الذكاء والفطنة مايغنيه عنها.

قال لأمه وهو يهم بالتهام آخر لقمة في طبق الجبن الشهي الذي وضعته أمامه هو وأخته ذات السنوات الأربع:

لاتنسى ياأمى فغدا موعدنا للذهاب إلى المدينة لشراء الحذاء الجديد كما اتفقنا، لقد أبلغت الريس اليوم أنني لن أذهب إلى العمل مع الأنفار غدا، أما أختي فلنتركها عند خالتي تلعب مع بناتها فهي مازالت صغيرة ولاتقوى على هذا المشوار.

نظر إلى أخته وربت على كتفيها وهو يزين لها البقاء عند خالتها حتى يعود وأمه من مشوار الغد. كان الليل طويلا، ولكنه أيضا كان جميلا. لم يستغرق في النوم رغم شقائه في الحقل طوال اليوم. تناثرت حوله خيالات لعشرات الأحذية بأشكال مختلفة.عاش بينها ومعها سعيدا جدا حتى خيل إليه أنه واحد منها. كان مستلقيا على ظهره في الغرفة الوحيدة المظلمة. لم يكن يشعر بوجود أمه وأخته المستغرقتين في النوم إلى جواره. أخذ يقارن كل الأحذية الجميلة التي تداعب خياله، ترى أيها تقبل صحبتي خلال السنة الجديدة مقابل الجنيهات

القليلة التي تستطيع أمي أن تدفعها؟.. حسم النوم القضية .. أغمض عينيه مبتسما .. ونام حافي القدمين.

الميكروباص يشق طريقه بين المزارع مثيرا خلفه سحابات كثيفة من الأتربة .. اختار أن يجلس بحوار النافذة .. أمه تلاصقه .. يشعر بدفئها .. بل يشعر أنه يجلس في صدرها وليس على هذا المقعد القاسي .. يعرف كل مايمر به من طرقات القرية.. حتى هذه الأشجار يعرفها شجرة شجرة ..إنه نفس الطريق الذي تسلكه سيارة المقاول الضخمة البغيضة كل يوم مابين القرية ومواقع العمل بالحقول.

شد ظهره إلى المقعد وألصق وجهه بزجاج النافذة والسيارة تمرق بمحاذاة الرشاح .. هاهي سيارة المقاول تقف فارغة والأولاد والبنات منتشرون بحقول القطن وقد أحنوا ظهورهم يلتقطون لطع الدود من شجيرات القطن الغضة..

لمح بعضا من وجوههم .. إنهم أنضر وأجمل من القطن نفسه ..هل يبدو هو أيضا هكذا عندما يكون ضمنهم؟ سؤال غريب طرأ على خاطره للحظات ثم تلاشى ..ولكنه كان سعيدا .. ود لو نزل وانضم إلى زملائه .. ولكن اليوم هو يوم الحذاء المنتظر.

خرج الميكروباص إلى الطريق السريع ..اختلفت كل الصور .. سيارات من أشكال عديدة ..جميلة .. يستقلها أناس منمقون وهي تمرق في سرعة مذهلة ..الميكروباص أصبح مستقرا في سيره..لاهزات ولا رجرجات ولامقبات .. ولاغبار..لوحات الإعلانات في كل اتجاه .. إنها لبشر غيرنا ..هكذا أجاب لنفسه بنفسه.

نسي الحذاء الذي بات يحلم به لفترة..أخذته لوحات الطريق ...قرأ بعضها والبعض مر بسرعة لم تمكنه من تحقيقها ... فهم كل ماقرأته عيناه :أسماء المدن ، إعلانات المنتجات المختلفة إلا هذه اللافتة الغريبة: اتبع إرشادات المرور .. كان هذا هو سطرها

الأول .. مفهوم ولامشكلة فيه ..وفي السطر الثاني «مصر بلدك خايفة عليك»، تعجب جدا « خايفة» لو كتبها هكذا في كراسته لعاقبة مدرس اللغة العربية بالتأكيد شغلته هذه العبارة الغريبة وتوقف عن متابعة باقي اللوحات. ترى من الذي اخترع هذه العبارة العجيبة ومامعناها؟ سأل نفسه فلم يجد ردا لسؤاله. نظر إلى أمه..تمنى أن تستطيع القراءة لتقرأ بنفسها هذه العبارة الغريبة ..ولكن هيهات أن تقرأ حرفا... كانت اللوحة قد مرت منذ فترة عندما التفتت إليه أمه في حنان بالغ وكأنها سمعت أفكاره .. أعاد عليها العبارة ..ربتت على كتفه وهي تنظر إليه في إشفاق. عرف ردها عندما لم ترد « ستعرف كل شئ عندما تكبر» ..لم يشأ أن يرهقها أكثر من ذلك فعاد بنظره إلى النافذة وهو يقول لنفسه «المهم الحذاء».

استقبلتهم خالته عند باب بيتها .. شكت من أخته وشقاوتها وكيف أنها ضايقت بنات خالتها،

وكيف أنها ظلت تبكي لأكثر من ساعة.

فتح الصندوق وأخرج الحذاء الجديد .. «مبروك على الأرض» قالت خالته وهى تدفع بناتها الثلاثة بكلا ذراعيها بعيدا عن الحذاء.

عاد وأخته وأمه إلى دارهم. ثلاث أيام ويذهب إلى المدرسة مباهيا بحذائه الجديد.

في الصباح .. امتلأت ساحة القرية بعشرات الأطفال ..أولادا وبناتا .. يفركون النوم في أعينهم بأناملهم الصغيرة ..أجساد صغيرة غضة كتب عليها الشقاء والكفاح .. يتبادلون النظرات دون حديث ويترقبون بداية يوم طويل حافل بالحركة والعمل والعرق . تمنى لو حدثهم عن رحلة الأمس والحذاء الجديد فلم يجد مايشجعه فابتلع الكلام. أحكم قبضته على لفافة صغيرة في يده وضعت له أمه فيها شطرة خبز وقطعة جبن وجبة لغذائه عندما يسمح لهم بتناول الغذاء في الحقل وقت القيلولة.

قرر أن ينتظر إلى القيلولة ليحكي لزملائه حكاية رحلة الحذاء التي عاشها بالأمس.

من بعيد .. لاح غبار كثيف يرتفع إلى السماء مشوها مارسمه الشروق من جمال خلاب قبل أن يقطع ضجيج لورى المقاول سكون الطبيعة المسالمة. هاهو يظهر في الأفق البعيد وتلمحه عيون الصغار بكآبة طلعته وكلاحة ألوانه ..إن كان له ألوان .. يجر نفسه جرا.. فأمثاله يرقدون في تلال الخردة من سنوات. أخذ ينوح بسرينته مولولا معلنا وصوله أو أنه كان فرحا أن وصل.

قفز المقاول من فوق المقعد الممزق بجوار السائق قبل أن تسكن حركة اللورى ملوحا بعصا لاتفارق يده فهرولت السيقان النحيلة بلا تفكير يساعدون بعضهم بعضا في القفز إلى الصندوق الخلفى للوري حتى إذا امتلأ .. تراجع كل من لم يفز بمكان فيه إلى الوراء لينتظروا اللوري التالي. لكن المقاول صرخ في

الحشد المتراجع وهو يسبهم بأفظع السباب ليركبوا وأن يكفوا عن الدلع والرفاهية !!

تدافع المساكين يتسلقون الصندوق من كل جانب حتى اكتظ الصندوق بلحمهم وأصبحوا جميعا كجسد واحد له عدة رؤوس.

حاول صاحبنا أن يتلفت حوله فلم ير شيئا ..أحس أنه قد حشر في أنبوب ضيق ..تحرك الوري وثار الغبار .. زكمت الأنوف وسدت الأعين ..خضت الأحساد الصغيرة فى كل اتجاه بلار حمة .. خطر ببالـه الحذاء الجديد .. فلم يستطع أن يتذكر شكله ..اكتشف فقط أن هذا الحذاء أفضل منه حظا ..فله صندوق صنع خصيصا له وعلى قياسه .. لايزاحمه فيه أحد.

رفع نظره لأعلى ..لم تعد الأشجار كما رآها بالأمس، فهى اليوم تبدو ذابلة كئيبة تترنح تحت وطأة غبار هذا اللوري اللعين. قفزت إلى رأسه تلك

العبارة الغريبة «مصر بلدك خايفة عليك» ..حاول أن يجد لها تفسيرا فجال بجنبات نفسه باحثا فلم يجد إلا سؤالا: «ترى من يخاف عليَّ غير أمى المسكينة؟».

لمح بصعوبة طريق الرشاح .. لقد اقتربنا إذن من نهاية المشوار. حاول ببراءة أن ينسى كل شئ: الحذاء واللافتة والزحام وشكوى خالته من شقاوة أخته حبيبته.

كاد أن ينام واقفا أو لعله كاد أن يغشى عليه من الزحام وشدة التدافع والتمايل وهو غاطس بجسده الضعيف وسط هذه الكومة من اللحم. كان يعتقد أنه الوحيد الذي يعاني فأبى أن يئن أو أن يسأل الآخرين عن حالهم.

الكل يبدو صامدا أو كتب عليه الصمود فصمد مستسلما ومسالما.ترى ماذا يكسب اليوم بعد هذا الشقاء؟ ..

ماأن استقام اللورى على طريق الرشاح حتى زمجر وثار وتمايل وانخفض وارتفع فأخذت الأجساد الصغيرة تتطاير فى كل اتجاه .. حتى أخذ طريقه

منتحـرا في ميـاه الرشـاح العفنـة ، ومـا أن اطمـأن اللـورى لنجـاح انتحـاره حتـى انقلـب علـى ظهـره بعـد أن غمرته الميـاه وتحتـه ملائكـة لم يعطهـم حتـى فرصـة للأنـين.

تحسـس رأسـه بيـده وهـو ملقـى بجـوار أحد الأشـجار الـتي أحـس فيها وهـي تظلله أنها في روعـة أمه وحنانها.

لم يكـن يـدرى ماحـدث.. عشـرات المزارعـين يهرعون إلى المـكان يقفـزون قفـزا ويلقـون بأنفسـهم في الميـاه القـذرة دافعـين بأجسـادهم نبـات ورد النيـل الكثيـف المتشـابك علـى سـطح المـاء الراكـد .. يبحثـون عـن الملائكـة .. ولكـن هيهـات.

لـح السـائق ذا الشـوارب جالسـا القرفصـاء بعـد أن قفـز مـن اللـوري عندمـا أيقـن أنـه علـى وشـك السـقوط في الرشـاح، لعلـه يفكـر فيمـا يـرد بـه علـى زوجتـه عندمـا تسـأله عـن سـبب اتسـاخ ملابسـه علـى هـذا النحـو وهـو الجالـس علـى عجلـة القيـادة .. موظـف حكومـة .. ليس كالفلاحـين ... أخـيرا وجـد الإجابـة .. تذكـر فجـأة أنـه

رأى لوحات هذا اللورى مكتوب عليها « حكومة» ... حكومة يعني مصر .. تذكر اللوحة العجيبة « مصر بلدك خايفة عليك».

النهاية : عناوين ضخمة تملأ صفحات الحوادث .. صور المقاول والسائق وحطام اللوري ... أسماء الملائكة وكأنها كشف أسماء الفصل في العام الدراسى الجديد ..اتهامات متبادلة .. الكل برئ .. تصريحات وتحركات وصور لمسئولين ..إعانات فورية هزيلة لمن أبوا الإعانة أحياء وآثروا الشقاء، هاهي تفرض عليهم أمواتا.

في الصباح .. وفي كل صباح .. تزمجر اللواري في ساحات القرى ..بل وفي ميادين المحافظات .. تمتلئ بضحايا جدد .. يسعون إلى لقمة العيش.

★★★

حنان

نشرت بجريدة الأخبار المسائى في ٢٠١٥/٣/٢٢

لاحت في الأفق بشائر الصباح فتمطى الديك ووقف مزهوا بريشه الناعم الملون وعرفه الأحمر الخفاق يعلو رأسه ثم تحرك في خيلائه بخطى راسخة نحو العشة المتهالكة القابعة في ركن السقف القذر، ومأأن اعتلاها حتى بدا رأس العجوز يطفو وهي تدق بكعبيها آخر درجات السلم المؤدي إلى السطح. لمحته فأصابته نظرتها من حيث لايدري ،وأصابه الحازوق فما صاح ولا ناح، بل اهتز كيانه وانتفض انتفاضات متلاحقة حتى بلغ حافة سقف العشة وسقط مهلهل الجناحين جاحظ العينين مثيرا ترابا كثيفا جعل ريشه أسوأ حالا من المكنسة. تعالى صياح الديوك في الجوار وكأنها تهلل لسقوطه، والعجوز قد كسا وجهها تجهم مخلوط بالغيظ والحنق والقسوة، بينما هرعت الدجاجات بثياب نومها إلى حيث سقط سبعها، وتبادلن نقاشا حاميا، ولم يفعلن شيئا من أجله ثم تواريـن وتفرقن عندما اقتربت خطى العجوز

منهـن، وتحجـرن جميعـا في أماكنهـن عندمـا صوبـت اليهـن نظراتهـا المخيفـة وارتعدت أجسـادهن فـكل واحدة منهـن تتوقـع أن تقبـض يـد العجـوز عليهـا ثـم تخـرج السـكين مـن بـين ثنايـا ثيابهـا كالحـة السـواد فتقطـع رقبتهـا ثـم تلقـي بجثتهـا علـى الأرض. وكأن وحيـا قـد سـرى بينهـن فتجمعـن في نصـف دائـرة حـول الديـك المسـكين وأخـذن يدفعنـه جهـة العجـوز الـتي انحنـت، فقرقعـت عظـام ظهرهـا حتـى سمعتـه الدجاجـات رعـدا فتفرقـن برقـا. قبضـت العجـوز علـى رقبـة الديـك ورفعتـه فتـدلى في يدهـا كالخرقـة البالية ثـم دسـت رأسـه في مسـقاة كانـت علـى مقربـة مـن بـاب العشـة، فشـرب المسـكين رعبـا وذهـب عنـه الحـازوق فألقـت بـه أرضـا وتلفتـت حولهـا لـترى صغـيرا يقـترب وكأنـه يتراجـع فلـم تأبـه بـه ولم تلـن ملامحهـا بـل دسـت يدهـا في ثنايـا ثوبهـا وأخرجـت سـكينا بـرق حـده تحـت شـعاع الشـمس الوليـد واسـتدارت في حركـة عسـكرية متفحصـة كل ماحولهـا لتبـدأ مذبحـة الدجـاج. مـا أن اصطدمـت

عيناها بالصغير الذي كان متحجرا على مشارف سلم السطح حتى انتفض المسكين وارتجف ولف واستدار وارتعد وتعثرت قدماه في قدميه حتى بلغ رأس السلم، فلم يميز له رأسا ولاعقب ودبت قدمه اليمنى في الفضاء فهوى سريعا صريعا في فناء البيت. انتهت العجوز من ذبح ثلاث دجاجات ثم دست السكين والدماء تقطر منه بين ثيابها وقبضت بيسراها على أرجل الدجاجات الذبيحة واتخذت طريقها إلى السلم. تساقطت خطواتها على الدرجات حتى بلغت الفناء الرحب، فإذا الديك يقف شامخا أمامها وخلفه الصغير يداعبه، فعلا صياح الديك وتهلل وجه الصبي فرحا بهذا الصياح الذي يعشقه ولكنه اصطدم بنظرة العجوز التى كادت تصهره فصاح فزعا:

— عمتي حنان.

وسقط ممددا بالفناء مفضلا الموت على البقاء.

★★★

جدتى

عشرة أعوام مرت والعجوز تعيش وحيدة في هذه الشقة التي كانت ولسنين طويلة مسرحا لحياة كلها حب وألفة ومرح، قبل أن يرحل الزوج في رحلته الأخيرة الى مقابر الأسرة في قريتهم الصغيرة القابعة بإحدى محافظات صعيد مصر، وبعد أن تزوجت وحيدتها «رجاء» من مصطفى ابن جارهم الحاج شوقي الصعيدي.

تذكرت أنها هي صاحبة الحكم على نفسها بالوحدة، فقد رفضت أن تعيش معها ابنتها وزوجها أو أن يصطحباها لتعيش معهما في بيتهما الذي يبعد خطوات عن شقتها التي ألفتها، فهي تؤمن أن حياة أي زوجين لاتحتمل شريكا ثالثا حتى يضمن لها النجاح والحرية. حتى عندما رزقت رجاء بوحيدها عمر منذ ثماني سنوات، رفضت العجوز أن تعيش معهم عندما رجوها أن تكون راعية للصغير في فترة خروج والديه للعمل، وأصرت أن يحضراه إليها في شقتها وهي كفيلة برعايته طول العمر.

كان شريط حياتها ومواقفها، بل وكلماتها وكلمات من عاشت معهم، تتردد في أذنيها دائما وهي تتحرك في ثقل داخل الشقة، ولكنها كانت مقتنعة تماما بكل مافعلت، وراضية بما آلت إليه حياتها.

تذكرت كم كانت لوعتها وبكاؤها المر عندما ذهبت رجاء ومصطفى إلى قصر الاتحادية ليعبرا عن رفضهما للإعلان الدستوري المجحف، وتركا عمر معها، وكيف أن أخبار الغدر كانت تنطلق من التلفزيون كالطلقات تهتك مشاعرها وتهز كيانها، كادت أن تموت قبل أن تعود ابنتها وزوجها فجر اليوم التالي وقد نالهما بعض الجروح وتمزقت بعض ثيابهما.

لم تكن دموعها قد جفت بعد عندما سمعت جرس الباب يأتي كالحلم. بخطوات مجهدة تحركت نحو الباب لكن ابنتها سبقتها وفتحت بمفتاح تحتفظ به معها دائما. رجاء وزوجها وعمر يحيطونها في حب غامر ويجلسونها بينهم. عمر يتقدم إليها وفي يده علم ويتمسح بيديها :

— خذي ياجدتي هذا علم أحضرته لك.

لم تفهم شيئا ..ولم يلحظ ذلك عمر الذى استمر:

— لقد اشترينا أعلاما وسنذهب إلى الاتحادية لنؤيد جيشنا، وأنا أعرف ياجدتي أنك تحبين مصر وجيشها ..فأحضرت لك علما مثل أعلامنا التي سنحملها.

انقبض قلب العجوز لبرهة، وقبل أن تنطق ، قالت رجاء :

— ياأمى جيشنا العظيم يحمينا هذه المرة، لم يخذلونا ولن نخذلهم، لاتقلقي.

وربتت على كتفيها واحتضنتها، ولكن دموع العجوز غلبتها وهي تدعو لمصر بالنصر على من ظنوا أنهم بالبلطجة قد حكموها. قالت وقد اطمأن قلبها :

— والنبى يامصطفى يابني افتح لي التليفزيون وخلي الصوت عالي شوية ..معلش يابني عايزة اطمن.

تركوها أمام التليفزيون تتابع وقفة الكرامة والثأر. شعرت بعنفوان لم تألفه ، بكت وبكت وبكت ،وأفاقت على أصوات الأفراح والأغاني

والأناشيد الوطنية تصدح في الشارع ، كان علمها بيدها تقبض عليه بقوة وفخر، لم تتركه للحظة ، تلوح به وحدها، كانت تشعر أنها هناك، يراها الناس ، ودون أن تشعر أطلت من شرفتها في الطابق العاشر، لاتكاد ترى تفاصيل مهرجان الشارع، ولكنها كانت وسط المهرجان بقلبها، أخرجت يدها ملوحة بالعلم من الشرفة وهي تصرخ : مصر ..مصر ..مصر، كانت تشعر أن الدنيا تردد خلفها النداء. لم تدر كم من الوقت مر عليها قبل أن توقظها ابنتها وهي نائمة في الشرفة قابضة على علمها، ماإن تنبهت حتى عاودت الهتاف :

— مصر ..مصر..مصر.

ارتفع صوت آذان الفجر معلنا بداية صوم يوم جديد، ضحك عمر وهو يداعب العجوز:

— ماأجمل سحور الليلة ياجدتي.

★★★

عسلية

نشرت بجريدة الأخبار المسائى في ٢٠١٥/٨/٢٧

عندما رقد عم فكري تحت وطأة المرض، كان بصره معلقا بهذا اللوح الخشبي ذى الأجناب الرقيقة المزركشة والرابض في ركن الغرفة المقابل لمرقده، تلك اللفافات الصغيرة الملونة هي كل بضاعته ورأس ماله الذي يكسب من ورائه مايسد به رمق ولديه، ويمكنه من أن يوفر لهما مصروفا يكون في الغالب تعريفة ويصل إلى قرش كامل في أيام الفرج، أحيانا كان الولدان يتسللان صباحا إلى مدارسهما دون أن يشعرو حتى لايسببا له ألما، وهما يقرران ذلك دون ترتيب بينهما عندما يريان علامات الحزن بادية على ملامحه وهو عائد آخر اليوم إلى البيت حاملا مابالكاد يكفيهما من طعام، ومدعيا أن مرسي القهوجي قد عزمه على طعام، فهو لن يأكل.

كان راقدا وعقله يسعى بين لفافاته التي يحبها ويعرفها واحدة واحدة، ويمد إليها بصره فكأنما

يربت عليها بعينيه، تلك لفافات الروبسوس البنية، وهذا لبان إيكا الذي تعشقه الصغيرات، أما هذه اللفافات الأسطوانية فهي لأقراص النعناع المنعشة. ابتسم وهو يقول لنفسه: ودي العسلية، أيوه دي النداغة، وده برطمان الطوفي، واللي جنبه برطمان الأرواح، وده بتاع الفندام، ثم حدق في الجدار وكأنه ينظر في مرآة لايراها غيره:

— ياسلام عليك يافكري.

مرت أيام ثلاث وهو يشعر بثقل أطرافه حتى أنه لم يعد قادرا على مغادرة السرير، ولولا سيد وأدهم وجارهم الأسطى زين الجزمجي لتحلل فكري في سريره من فرط القذارة.

كاد سيد يطير فرحا عندما عاد من مدرسته فوجد أباه وكأنه لم ير المرض أبدا، رآه منحنيا على لفافاته، يتحسسها ويشم بعضها، فكأنما انتقل إلى دنياه وحملته كما كان يحملها وأخرجته ليدور دورته التي

اعتادها لسنوات طوال سعيا وراء رزقه. وفرت دمعة لتبلل لحيته التي طال شعرها، وكأنه يودع عزيزا عليه أدرك أنه لن يراه ثانية. استدار فلمح سيدا، لم ينطق ولم يئن، بل تحرك بشكل طبيعي جدا حتى بلغ مرقده فتمدد فيه، استولى الرعب على سيد مما يرى من أحوال أبيه الغريبة، وانقبض قلبه عندما سمع أباه يهمس بصوت مخلوط بالرضا والابتسام:

- ياحاج سيد خلي بالك من الدكتور أدهم.

سكنت الدنيا تماما، أغلقت نوافذها وأبوابها واهتزت الأرض والجدران بسيد الذي انكفأ يقبل جثمان أبيه بينما كلماته الأخيرة تفور وتتردد في مسامعه، لعله يفهمها يوما ما.

هاهو يقابل الموت للمرة الثانية، كانت الأولى عندما توفيت والدته بعد ولادة أدهم بيومين اثنين، قالوا ساعتها أنها عانت في حملها، وماكان يجب أن تحمل وتلد، إلا أن الحاجة رسمية الداية ولدتها

بسهولة ويسر، ومضت بعد أن رفضت أن تأخذ أجرا، ولم تكن تدري أنها قد تركتها لأمراض لاتعرفها تصيدتها في ذروة ضعفها بعد الولادة.

في المستشفى كان كل جيرانهم يجرون في كل اتجاه بحثا عن الطبيب، ثم لايلبث أن يعود كل منهم إلى حيث كانت أم سيد ليلقي عليها نظرة وكأنهم جميعا كانوا يدركون أنها على حافة الموت. تجمعت كل النساء على صوت الست أمينة وهي تولول معلنة موت أم سيد، ولم تتردد أي منهن في المشاركة بالصراخ ولطم الخدود، وتوالت المشاهد حتى عاد فكري وولده صامتين من المقابر وحولهما جمع من جيرانهم يبادلونهما النظرات الصامتة.

ما أن رأتهما نادية ابنة الأسطى زين ذات السنوات العشر حتى جرت إليهما:

— ياعم فكري، النونو عندنا.

وكأنه لم يسمعها، ولم يعرها هو أو غيره انتباها، هرولت خلفهم وأخذت تجذب أطراف ثوب من تلحق به وهي تصيح:

— النونو عندنا.

وبعد عشرين عاما، شعر الحاج سيد، صاحب واحدة من أشهر شركات السياحة، بمن يشد طرف سترته الفخمة، وصوت الطفلة مازال يتوسل:

— النونو عندنا.

فانتفض في مقعده الخلفي من سيارته الفارهة، تلفت فلم يجد سوى الدكتور أدهم منهمكا في قراءة أحد المراجع الطبية التي لاتفارقه، والسائق بدا وكأنه يسير أمام السيارة على الطريق المؤدي إلى الساحل الشمالي وهما في طريقهما لمتابعة العمل في قريتهما السياحية التي لم تكتمل بعد والتي شرعا في إنشائها منذ أكثر من عام، ثم ليبيتا ليلة أو ليلتين بفيلتهما بمارينا.

بـدا وكأنـه عائـد مـن مشـوار طويـل سـيرا علـى الأقـدام، لاحـظ ذلـك الدكتـور أدهـم، وقبـل أن يسـأله عمـا ألم بـه، بـادره الحـاج سـيد:

— نادية بنـت عمـك زيـن الله يرحمـه هاتجـوز بنتهـا يـوم الخميـس، يبقـى بكـره لازم نكـون في مصـر.

وأخـرج مـن جيـب سـترته الفخمـة قطعة من العسـلية قذفها في فمه، وكأنه قرر أن يكمل معها حديثه ... صامتا.

★★★

الفستان الأسود

لايدري كيف وصل إلى هذا المكان، فقد وجد نفسه هائما في هواء شقته الرحبة بلا جسد، وكأنه مرسوم في الفراغ، يسمع ويرى ويفكر ولكن بلا إحساس بغضب أو رضى ولاحزن ولافرح، كل الأحاسيس تراجعت إلى نقطة الصفر وفقدت وظائفها، إنه يملك القدرة على التنقل في أرجاء المكان بلا خطى ولاسيقان، فالمكان الذي يخطر بباله يجد نفسه فيه.

حين ولج إلى غرفة نومه البديلة، مكان أسره واحتجازه، لمح نفسه ممددا على سريره ميتا، أيقن ساعتها أن روحه قد فرت من هذا الجسد المعذب ولاذت ببارئها، وأن الله قد منَّ عليه بالراحة وأشفق عليه من طول الشقاء.

تعجب كيف يكون ميتا ولاأحد حول سريره ولانواح ولاصياح، وأين الست صفاء هانم زوجته إذن، عاد إلى الصالة فوجدها وقد انفرجت أساريرها جالسة على مقعد وثير وقد عقدت ساقيها في

فخامة مصطنعة، ولكنها تصدقها وتؤمن بها، وكانت السر وراء كل جولاتها النكدية، كانت مابين فينة وأخرى ترتشف رشفة من كوب أمامها ملأته بالنسكافيه. مدت يدها إلى الهاتف وأسندت ظهرها للمقعد وبدأت في التحدث:

— إزيك ياعادل ؟

— إزي علي ومصطفى وسالمة ؟

— إزي مراتك ؟

— لا لا ولايهمك .. كله تمام .

— باقولك إيه ..أنا صحيت الساعة واحدة لاقيته ميت في السرير.

— أيوه ميت بجد .

— لا.. لسه ماحدش يعرف .. انت أول واحد أكلمه.

— شوف انت حكاية الحانوتي والتربي والكلام ده خلينا نخلص.

— آه .. شوية كده وهاكلمهم

— ماشي ياخويا .. ربنا يخليك .. باي.

تعجب صاحبنا جدا، فرغم أنه يدرك مافي باطنها وكان يراه طوال العمر إلا أنه، بفطرته السوية، لم يتخيل أن يكون بهذا القدر. كان عادل هذا ثقيل الظل إلى أبعد الحدود، يتصنع الرجولة التي لايعرف عنها شيئا ويدعي ماليس فيه ويزج بنفسه في مجالس الرجال فيكون محط كرههم وسخريتهم.

هاهي تفرغ من النسكافيه وتقلب في قنوات التليفزيون وتتوقف عند عرض للأزياء، ترفع الصوت لتمتع نفسها قبل أن يعرف الجيران بوفاة الرجل ويصبح عيبا عليها فتح التليفزيون.

وكأنها تنبهت لشئ عليها أن تستعد له، أغلقت التلفاز وقصدت خزانة ملابسها، تبعها الطيف، رآها وهي تكاد تطير من الفرح، تطيح بملابسها يمينا ويسارا، فيسقط على الأرض مايسقط

ويبقى مايبقى، انتزعت ثوبا أسود وألقت به على السرير المجاور، عبرت بعرض الغرفة جيئة وذهابا وهي تدهس الملابس التي غطت بها الأرض.

تعجب لانفراج أساريرها على هذ النحو والاحمرار الذي كسا وجهها والبريق الذي بدا في عينيها، أسرعت إلى المرآة واقتربت منها بوجهها حتى خيل إليه أنها ستلثمها، ابتسمت ومضت تتلفت في كل اتجاه حتى التصق بصرها بسقف الغرفة، مدت يدها للثوب الأسود الملقى على السرير دون أن تنظر إليه، ثم تراجعت وهي تكاد ترقص، سمعها تحدث نفسها:

— الفستان الأسود ينفع في اليوم الأبيض.

تناولت هاتفها المحمول الملقى أمامها على المنضدة، عقدت ساقيها واستحضرت في نفسها صورة الحزن فأضفتها على ملامحها وتهيأت لنقل الخبر المفرح بحزن مصطنع، بدأت في نقر أول الأرقام ثم توقفت فجأة عندما تنبهت أن التليفزيون مازال يصدح بالأغاني، أشارت إليه بالريموت فأخرسته

وعـادت إلى هاتفهـا، شـرعت في نقـر الأرقـام علـى الشاشـة المضيئـة، شـلت يداهـا عندمـا سمعـت صـوت مفتـاح يـدار ببـاب الشـقة، فهـو فقـط مـن يحمـل مفتاحـا، أسـرعت نحـو البـاب، هـو في وجههـا بكامـل هيئتـه، صامتـا متجهمـا كعادتـه، خطـى نحـو الداخـل فسـقطت علـى الأرض مدثـرة بثوبهـا الأسـود، وضـع حقيبتـه جانبـا وجثـا علـى ركبتيـه إلى جانبهـا، تحسـس جبهتهـا فهالـه برودتهـا، قبـض علـى معصمهـا فلـم يستشـعر نبضـا، هـم واقفـا وأخـذ طريقـه إلى غرفتـه وأخـذ في تغييـر ملابسـه في طقـوس يمارسـها كل يـوم، مسـح أركان الأسـقف بعينيـه فلـم يلاحـظ شـيئا غريبـا، نظـر إلى سـريره وابتسـم، لاميـت ولاجثـة، لم يـدر مالـذي سـاق كل هـذه الخواطـر في ذهنـه وهـو في مكتبـه، حتـى أنـه انصـرف مبكـرا سـاعتين عـن موعـده قاصـدا بيتـه، شـعر براحـة لم يصادفهـا منـذ أكثـر مـن ثلاثـين عامـا، فقـد صمتـت قاذفـة السـموم، وتعطلـت آلـة الغـل والحقـد، وتهـاوت المتغطرسـة إلى أسـفل سـافلين، شـعر بالأكسـوجين يمـلأ الجـو ونور الشـمس يخـترق الجدران،

انتزعه جرس الباب من أفكاره، فتح الباب ليفاجأ بالرجل الممسوخ على الباب فاغرا فاه، منعقد لسانه وهو يواجه الميت، دعاه للدخول متجنبا النظر إلى وجهه، ساله صاحب الدار:

— جبت المغسلة والحانوتي وجهزت التربة؟

— .....

— شوف تحب تعمل العزا فين.

— .....

— طبعا لازم مكان يليق بالمقام.

— .....

لم ينتظر منه ردا، دخل إلى غرفته، تمدد في سريره، راح في نوم عميق لم يعرفه منذ سنوات طوال.

★★★

كاتب

نشرت بجريدة الأخبار المسائى في ٢٠١٤/٩/٢٨

عــلا الضجيــج في صــدره، لم يعــد مجــرد أصــوات غاضبــة ثائــرة، بــل أضحــى زلــزلات وتقلبــات عشــوائية مؤلــة. تحمــل قــدر اســتطاعته، قــاوم الانكســار ورفــض الاستســلام إلى أن فــاق الألم في صــدره أقصــى طاقــات احتماله.لايــدري ماالــذي جعلــه يؤمــن أن روحــه قابعــة في صــدره، ولكنــه وجــد نفســه مؤمنــا بذلــك ومرتاحــا لهــذا الإيمــان، واليــوم تجمعــت الآلام والأوجــاع والمعانــاة وروث الصــبر الــذى تراكــم طــوال العمــر آكلا شــاربا في هــذا الصــدر الضيــق الرحــب. ازدحــم ميــدان صــدره بهــؤلاء، وشــعر بهــم يدقــون صــدره بأقدامهــم واخترقــت أصــوات هتافهــم: « حريــة ..حريــة» جــدار جمجمتــه لتصــل إلى قوقعــتي أذنيــه مباشــرة. لم يكــن عقلــه في حاجــة إلى عينيــه كــي يقــرأ تلــك اللافتــات الــتي حملتهــا المشــاعر في ميــدان الصــدر:

— "أخرجنا من هنا"

— "اطلقنا لتريح وتستريح"

— «أليس لصبرك نهاية؟»

— « اصبر وحدك فقد مللنا».

استشعر الخطر فاستدعى قوات الحب والحنان من قلبه وسكب منها الكثير على تلك الحشود، وكأنه سكب عليها وقودا، فتساقط الحب والحنان تحت الأقدام وازدادت الثورة ثورة، وبكى قلبه حزنا عندما أدرك أن الحب والحنان لم يعودا قادرين على إطفاء نيران الحزن والضجر.

تأكد أن صبره الطويل قد أصبح يأسا، وماذا يكون اليأس سوى أنه صبر بلا نهاية، شعر أنه حبيس مصيدة العمر، واكتشف أنه هالك لامحالة. استل قلمه من حذائه واتخذ من ورقة بيضاء ساحة للقتال، أطل عقله خلال ثقبي عينيه وبدأ يملى عليه كلاما لم يسبق له أن كتبه، اندفع قلبه إلى لسانه معترضا ومحاولا أن يملى عليه كما

تعـود دائمـا، زجـره العقـل وأعـاده حزينـا إلى مكانـه.

بعـد سـاعات طـوال، تنهـد العقـل وارتمـى مسـترخيا مسـتريحا بعـد أن أخـرج ماعنـده علـى عشـرات الأوراق، هـدأت الثـورة في صـدره، تمـدد علـى أرض الغـر فـة وبدأ يقـرأ ماأمـلاه عليـه عقلـه، فجعتـه الحقائـق وأحزنه حال قلبـه الـذي صحبـه عمـره كلـه، أصابتـه هيسـتيريا مـن الضحـك المجنـون أعقبتهـا نوبـة مـن البـكاء المـر، مـزق الأوراق بعصبيـة شـديدة، ارتمـى فـوق كومـة القصاصـات في وسـط الحجـرة مضرجـا في دموعـه، ومـازال يبكـي.

★★★

أنا وبهانة

مستوحاة من قصة «أمنيات بهانة»

للأديب الكبير الأستاذ / فؤاد قنديل رحمه الله

كانت الساعة العاشرة مساء عندما هممت بالانصراف بعد إفطار رمضاني في الفندق الكبير. الموسيقى الهادئة تزين قاعة الطعام والبوفيه المفتوح قد أصبح كأرض معركة وضعت أوزارها بعد مدفع الإفطار، والعمال منتشرون جيئة وذهابا يعيدون للمكان رونقه.

دلفت إلى البهو الخارجي حيث جلسات الطرب والموسيقى العربية حول المسبح الرحب الذى عكس ماؤه بهاء الوجوه وروعة المكان.

طلبت من قائد سيارتي الاقتراب لباب الفندق ليقلني إلى البيت. لمحت عن بعد صديقاً لم أره منذ زمن بعيد فآليت أن أذهب إلى حيث يجلس لأسلم عليه دون أن أدرك أن هناك ثلاث درجات سلم تفصلني عنه. سقطت سقطة مروعة على ركبتى اليسرى. لم أتأوه عزة وكبرياء رغم الألم الرهيب، بل حاولت النهوض ولكن هيهات.

في المستشفى، تحولت رائحة الطعام والشراب إلى رائحة العقاقير والبنج، وحلت أصوات التأوهات محل الموسيقى والطرب. فحوص وتحاليل وأشعات، عملية جراحية بالركبة لوصل الوتر المقطوع، جبيرة قاسية بطول الساق اليسرى، سجن على هذا الحال لستة أسابيع لم ينته الأول منها بعد.

ليس أمامي سوى الرضوخ والتأقلم ولامجال للأختيار أو الاعتراض.

لتكن القراءة إذن هي الرفيق الذي يصحبني في هذا الأسر، قلبت بين الكتب. «فن كتابة القصة- فؤاد قنديل» كتاب ظفرت به منذ عدة شهور إبان معرض القاهرة الدولي للكتاب، يتصدره إهداء رقيق من مبدعه القريب إلى قلبي. شرعت في القراءة، لم أكن أتوقع أن مبدعه قد أعد للقارئ سيارة فارهة تسير على وسائد هوائية وتتمتع برؤية بانورامية لما يدور بخاطر المبدع فوجدتني أحتضن الكلمات احتضانا وأتنقل دون أن أدري وأرتوي دون أن أشرب. توقفت

السيارة أمام قصة «أمنيات بهانة» فوجدتني أترجل لاهثا وراء ركب بهانة وأراها ورضيعها ومقطورتها وقفتها وهي تهرول إلى رزقها، بل شعرت بجل أحاسيسها وتوجست خيفة ألا تلحق بمكانها في السوق.

لم تغشني تلك الضحكة السمجة لأبي شرايط، فالغدر يطل من عينيه.

حنوت عليها حين جلست صاغرة على أطراف السوق وأيقظت حزم الخضار واحتضنت رضيعها وطفلتها واستبشرت خيرا.

تمنيت لو أنني كنت أحمل مدفعا رشاشا لأقضي على هذا الجاثم على صدور الضعفاء حين ركل بضاعتها دون رحمة.

أخذت أساعدها في لملمة بضاعتها، حملتها وبضاعتها ورضيعها ومقطورتها فوق رأسي واتجهت إلى حيث يخرج الناس من هذا السوق اللعين.

ربت على ظهري فتوقفت. المبدع فؤاد قنديل ودموع رقيقة تغلف عينيه وابتسامة حانية تضئ وجهه:

— كنت أعرف أنك ستحملها، فقد حملتها قبلك عشرات المرات، استخدم أدواتك وأنزل حملها على أوراقك سطورا حتى يشاركنا الآخرون في حملها.

صاح أبو شرايط:

— وسع يافندي أنت وهو بلاش وقف حال.

★★★

هناك أفضل

لم يبق على جسده سوى سروالٍ يستر عورته، ولولا بقايا عقله المتناثرة في جمجمته لأطاح به كما أطاح بكل شئ، اختار رصيف الشارع بديلا عن الشقة التي دفع فيها وفي تجهيزها شقاء سنوات طوال من عمره، لم تمنعه حرارة الأسفلت ولا لهيب الشمس من أن يسير حافي القدمين بطول الشارع ذهابا وعودة دون غاية يعرفها، لعله كان يريد تأكيدا مستمرا لفوزه بالحرية، وأنه قد فر من الضيق إلى الرحابة، لايتلفت يمينا ولا يسارا وهو يعبر بين ضفتي الشارع، فلما يتملكه الإعياء يرتمي بلا وعي على الرصيف وينتابه البكاء فيتجمع حوله المارة فلايشعر بوجودهم، فقد فر إلى عالمه الخاص وترك لهم عالمهم، طفل صغير أفلت من يد أمه التي استوقفتها مهانة الرجل، اقترب حتى استطاع أن يدرك ظهره بكفه الصغير، ربت عليه:

– معلش ياجدو .. أنا هاخلي ماما تجيب لك شيكولاته .. متعيطش.

وكأن الرجل لم يسمع من ضجيج الكون سوى كلمات هذا الصغير، فالتفت إليه ولمح في عينيه دموعا لم يذرفها من أضاع عمره في إسعادهم، تمنى أن يضمه إلى صدره ولكنه أشفق عليه مما علق بجسده من غبار معجون بالعرق المتراكم منذ عدة أيام، تذكر أحفاده الخمسة وتعلقهم به وحبه المفرط لهم، رأى وجوههم تظهر على وجه الطفل فيراه حفيدا يبتسم له ثم لايلبث أن يغيب ليحل محله حفيد آخر.

في الليل، تتجمع القطط الضالة لتنبش في كومة القمامة المجاورة لجلسته، فتأخذ كل اهتمامه، فقد أصبح يعرفها جميعا، بل قد رسخت في ذهنه صورة لطباع وشخصية كل منها، فوجد فيهم نماذج مشابهة لنماذج البشر: فهذا قط طيب لايمد فمه إلى طعام فاز به غيره، بل يذهب في سلام ليبحث لنفسه عن طعام آخر، وهذا قط بلطجي شرس ينشب مخالبه

بـلا رحمـة في جسـد قـط حصـل على طعـام مميـز ،فيطيح بـه ويلتهـم طعامـه بشراسـة في لـح البصـر ثـم يسـتدير ليبحـث عـن غـيره، وهـذا قـط صغـير ماتـت أمـه تحـت عجـلات السـيارات المسـرعة، يئـن جوعـا، وليـس في القمامـة مايصلـح لطعامـه، كان الرجـل يعبـث بالقمامـة حتـى يجـد أكياسـا أو علبـا مـن تلـك الـتي يبـاع فيهـا الحليـب فيحمـل الصغـير ويقطـر في فمـه مـن بقاياهـا النـادرة. ظـل علـى حالـه حتـى تعلم مـن القطـط أن يأكل مـن القمامـة، لم يعـد يجـد في ذلـك غضاضـة ولا قرفـا.

خذلـوه، ضنـوا عليـه حتـى بالكلمـات، صَدَّقـوا مـن تَجْلِـدُه وتَجْلَدُهُـم فيمـا تدعـي وهـم يعلمـون بكذبهـا، جاملوهـا وشـروا سـكوتها ودفعـوا حياتـه ثمنـا، صعـدوا علـى جسـده المغمـور في الهمـوم ليتنفسـوا حتـى غـرق همـا وغمـا، أعطاهـم كل شـئ ولم يبـق لنفسـه شـيئا، اختلـق لهـم الأعـذار بعـد أن اسـتكثر جحودهـم ورفـض أن يصـدق الحقيقـة حتـى نمـت مخالبهـا واسـتعرت نيرانهـا وفرضـت نفسـها علـى خيالـه الطيـب فقتلـت

الصبر ومثلت بجثته وعلقته مشوها أمام عينيه، فر من كل شئ حتى من ثيابه، رافعه القطط والكلاب الضالة، ووجد سعادته في قطة تتمسح بجسده العفن أو كلب يهز له ذيله حبا وامتنانا.

طال شعر لحيته حتى بلغ صدره، وكسا شعر شاربه شفتيه وشعث شعر رأسه الأبيض المتناثر بلا انتظام في فروة رأسه الصلعاء، واسود كل جلده وبرزت عروقه وجحظت عيناه واحمر بياضهما وانحنى ظهره وارتعشت أصابعه حتى صار كمن بعث من قبر بعد ألف سنة مكثها فيه.

لم يمت الكاتب ولا الأديب ولا الفنان بداخله، مازلت آلة الإبداع تعمل بالفطرة كما كانت دائما، فتولد الكلمات وتنمو وتتشابك في مقالات وقصص وأبيات تدور برأسه بحثا عن ثقب تنفذ منه إلى العالم الخارجي، لاقلم ولاورقة ولامحبرة، لم يحاول أن يمنع الكلمات عندما بدأت تنساب من بين شفتيه، ولاحظه المارة بل واقترب منه بعضهم

متنصتا على هذه اللغة العربية الراقية التي يحكي بها قصصا ويقرأ بها شعرا، وكثيرا ماخرج صوته وقد خنق بالبكاء واختلطت الحروف بالدموع، ذاع صيته وأصبح له جمهور يلتف حوله ويسجل أعماله بصوته، ظهرت صوره في المجلات والصحف الأدبية على رأس كتابات من إبداعه، الصحيفة الملقاة على مكتب رئيس الحي تتصدر صفحتها الأولى صورة الكاتب المشرد وتحتها عنوان ضخم: أديب الرصيف يحتاج إلى رغيف، ما أن قرأ رئيس الحي تلك الكلمات واكتشف أن المقصود هو هذا الملقى على أحد أرصفة الحي منذ حوالي عام، فارتجف وتوقع هجوم فلول من رجال الإعلام إلى المكان لتصبح فضيحة للحي ورئيسه، أصدر أوامره أن تتوجه سيارات البلدية ومعها سيارة إسعاف لرفع هذا المخلوق وإيداعه أي مستشفى لو حتى كانت للأمراض العقلية.

عندما وصلت سيارات الحي إلى الرصيف الثقافي، كان العشرات مصطفين جلوسا على الرصيف أمام

الرجل ومنهمكين في كتابة وتسجيل ثمار فكره وقريحته، وطاقم من القناة الثقافية ينقل الجلسة على الهواء في حدث لم يشاهده العالم من قبل. لم يجرؤ أى من زبانية الحي من الاقتراب وفرض الموقف عليهم إجلالا ليس من طباعهم أن يعيشوه.

في المساء، أعادت القناة إذاعة الندوة وقد استضافت اثنين من كبار الأدباء وناقدا أدبيا واثنين من أصحاب دور النشر ومندوبا عن وزارة الثقافة ورئيس هيئة الكتاب، كان الكل منبهرا بأدب الرجل وفكره وأسلوبه في شتى الأجناس الأدبية التي قدمها، بل إنهم رأوا فيها أعمالا تضارع علامات مشهود لها في الأدب العربي، بل والعالمي أيضا، تحدث رئيس هيئة الكتاب:

— إنني أرى ثروة ثقافية يحتم على ضميري أن أحفظها وأن أصدرها كتبا يقرأها الجميع، ولكن الرجل يخفي اسمه ويرفض البوح بكنهه، وعمل كهذا يتطلب أن يوقِّع عقودا وحقوقا

مادية وأدبية، وأنا أطالب وأرجو ممن يعرف شيئا عن الرجل أن يساعدنا فيما نصبو إليه.

كان الرجل حريصا أن يكتم سره ولايبوح باسمه ولاهويته، كان حريصا ألا يرسل لهم برسالة خزي أو مايقلل من قدرهم، مازال قلبه نقيا، كان مستغرقا في النوم ملتصقا بصندوق القمامة تدفئه أنفاس قطط تعرفه وتحبه، بينما جلس أبناؤه وأزواجهم وأبناؤهم و الهانم يشاهدون الحلقة ويتبادلون الأكاذيب ويناقشون المخاوف ثم يرسون جميعا على شاطئ الأطماع، فهذا الشبح الأشعث من الممكن أن يصبح ثريا في غضون فترة وجيزة إذا نشرت أعماله واستضافته القنوات، وليس بعيدا أن يحصد جوائز تدر عليه آلاف الجنيهات، بل والدولارات أيضا، قال ابنه الأكبر:

— سيبوا لي الموضوع ده .. أنا هاتصل بالقناه وأرتب حلقة مع نفس الضيوف واكشف فيها السر.

ردت أمه بنبرة صوتها الحادة الكريهة:

— يبقى نهارك أسود .. أنت اتجننت؟ الناس تقول علينا إيه؟ رميناه للكلاب ودلوقتي بنتمسح فيه؟

— أنتي فاكراني عبيط يعني ومش فاهم؟ بكره تشوفيني هاعمل ده إزاي..

ردت ابنته التي كانت تتابع كل شئ في صمت:

— ظلمتوه .. ولسه عايزين تظلموه .. منكم لله.

لم يلتفت أحد إلى كلام المسكينة التي كانت أقربهم من قلب أبيها هي وأختها التي تصغرها بعامين، كانت تدرك كل الحقائق وتعلم تماما كم كانت أمها محركا لكل المآسي التي عاشوها وكيف كان أسلوبها القهري مع الجميع سببا في أن سجنت نفسها في صدرها، ومر شريط الذكريات أمام عينيها فرات كيف كان أبوها رقيقا حتى مع قطتها، انكفأت تبكي في صمت وهي مكبلة بهذا القهر الأبدي.

عندما دارت الكاميرات في الاستوديو، بدا المذيع مستبشرا متهللا وهو يقدم الابن الأكبر الذي سيفجر

المفاجـأة ويكشـف سـر رجـل الرصيـف الأديـب ذائـع الصيـت وجالـت الكاميرا بوجـوه الضيـوف فبدا عليهـم جميعـا شـدة الترقـب والحماس حتى اسـتقر المخـرج على وجـه الابـن وقربـه ليمـلأ معظـم الشاشـة ويبـدأ حديثـه :

— لعلكـم جميعـا تنبهـرون بمـا يقـدم عليـه الأمريكيـون والأوروبيـون مـن مغامـرات بحثـا عـن الحقيقـة معرضـين حياتهـم للعديـد مـن الأخطـار، ولكـن شـغفهم بالعلـم والبحـث عـن الحقائـق يكـون دائمـا أقـوى مـن الشـعور بالخـوف، وهـذا الرجـل الـذي رأيتمـوه أشـعث أغـبر وأبهركـم بثروتـه الأدبيـة الكامنـة في صـدره، لم يفعـل إلا كهـؤلاء العظمـاء، فقـد كان كاتبـا مغمـورا شـغلته الأحاسـيس ومكنـون الصـدور فغـاص في نفـوس النـاس ورسـم مايجـول بخواطرهـم بدقـة مـن يراهـا، فلمـا زاد شـغفه قـرر أن يتجـرد مـن نفسـه وأن يهيـم بينهـم وكأنـه ليـس منهـم، ويـرى ويرصـد عالمهـم مـن عـالم خـاص لايرونـه فيـه بينمـا يراهـم هـو،

ولايشغله عنهم ولد ولابيت أو حتى طعام أو شراب، فكرة تبدو أقرب إلى الجنون، ولكنه فعلها، ولم يكن أمامنا سوى متابعته عن بعد وانتظار النتائج، وهاهي تظهر جلية أمامكم، أدب جديد في كل شئ، رؤية جديدة جعلتكم تشعرون بأنكم ترون الأشياء لأول مرة، يشرفني أن أعلن لكم وللجميع أن هذا الرجل الصلب صاحب الإرادة الحديدية هو ... أبي.

ما أن نطقها حتى اندفع إليه كل من بالاستوديو يقبلونه ويشدون على يده في حرارة، حتى العاملون خلف الكاميرا تركوا مواقعهم وظهروا على الشاشة وهم ينالون هذا الشرف.

كادت أمه أن تطير فرحا وهي تتابع ابنها واطمأنت أنه قد ورث عنها لؤمها وسوء طويتها، ولم يعد فيه عيب سوى أنه لايحمل اسم عائلتها.

عندما اجتمع المثقفون على الرصيف واصطفوا جلوسا أمام الرجل في اليوم التالي، تعلقت عيني الرجل بالسماء وتحركت شفتاه وكأنه يخاطب عالما لايرونه، ولكنه في هذه المرة بدا في سرد حكاية عن رجل من طراز مختلف لم يعهدوه، فلما تمادى في حكيه، شك كل الحضور في أنه يحكي حكايته لأول مرة، حتى إذا ماقترب من نسج النهاية تيقنوا تماما أنه هو من يحكي عنه، فلما ختم روايته، نظر إليهم فشعر كل واحد منهم أنه يكلمه هو فقط:

- أشهدكم أنني أهب كل أعمالي إلى جمعية القلب الطيب الخيرية لتقيم الندوات وتعطي الدروس وتعلم الناس الحب والوفاء والرحمة ماأمكنها ذلك، فكلها هبات من الله ورزق مكتوب، فلينشر من ينشر ولكن بموافقة هذه الجمعية، فهي من الآن صاحبة كل الحقوق.

واستدار في جلسته ليواجههم بظهره، وكأنه وضع حملا ثقيلا عن كاهله، فتمدد بجوار صندوق القمامة وراح في نوم عميق.

جن جنون الولد وأمه عندما نشرت الجرائد خبر تنازل الرجل عن أعماله للجمعية الأهلية بشهادة كل الحضور، وثارت ثورة الهانم وتناثر السباب واللعنات في كل اتجاه، وانسلت الإبنة في صمت وقد قررت أن تذهب لأول مرة إلى حيث يربض أبوها وسط القمامة، فما أن اقتربت من المكان حتى شاهدت جمعا غفيرا من الناس اختفى وسطهم المشهد كله، أسرعت إلى حيث يلتف الناس، أصابت الكلمات والتعبيرات رأسها وقلبها وهم يعددون محاسن الرجل الذي وجدوه ميتا هذا الصباح، وأصوات من يقترحون إبلاغ الشرطة ومن يصر أن يدفن عنده، ومنهم من صاح بأن ابنه قد ظهر في التلفزيون وكشف شخصيته ولابد أن أهله سيحضرون عندما يصلهم الخبر.

شقت الطريق وسط زحامهم في مشقة بالغة، لم يدرك أحد أنها ابنته حتى وجدوها ترتمي عليه غير عابئة بحالته وهي تنتحب:

— ظلموك وظلمتك معاهم .. قتلوك ياأغلى أب.

وجلست إلى جواره، وهي لاتستطيع أن تنظر إلى وجهه خجلا من تقصيرها في حقه، فلما حملوه في رحلته الأخيرة، لم يستطع أحد أن يصرفها من المكان، ومازالت هناك، مكان أبيها، تستر نفسها بأغطية قديمة جاد عليها بها الجيران وقد تحجرت ابتسامة على وجهها وانقطعت كل صلاتها بالعالم. وهاهي تروي في أسلوب شيق ولغة راقية قصة أبيها كما عاشتها هي، وقصص أخرى كان يحكيها لها ولم تكن تدرك معنى الكثير منها وقتها، أما الآن فقد أدركت كل المعاني وصار الندم ينهش قلبها، ومازالت ندوات الرصيف عامرة.

★★★

لله الله

تعـودت أن أراه مـارا كل يـوم في نفـس الدقيقـة، السـابعة صباحـا وأنـا في طريقـي إلى العمـل، خطـاه تنـم عـن جديـة وقـوة وإصـرار وكأنـه قائـد عسـكري يسـتعرض جنـوده قبـل معركـة فاصلـة، كنـت أنـا دائمـا الجنـدي الوحيـد الـذي يقـف لـه احترامـا وإجـلالا.

ألمح شـعره المشمشـي اللـون الذي لايملك حتـى رفاهية البقـع البيضـاء، أدرك خشـونة شـعره رغـم أنني لم ألمسـه قـط، لاأدري كيـف يحافـظ عليه هكذا نظيفا بل وممشـطا.

يلتفـت إليَّ في كبريـاء وشمـم بنظـرة تملؤهـا جديـة وصرامـة حتـى أنـني كنـت أشـعر أنـه ينظر إلى مـن علٍ.

خطواتـه ثابتـة رغـم هـذه السـاق المكسـورة التـى يدليهـا مرتفعـة قليـلا عـن الأرض،لعلهـا إصابـة عمـل قديمـة،لاأدري.

لم أره كأقرانـه ملتصقـا بـأي مـن صناديـق القمامـة، لم أره يتمسـح بأحـد أو متسـكعا بمداخـل البيـوت، رسـخ داخلـي إحسـاس أكيـد أنـه يعلـم وجهتـه جيـدا، جهـة

رزقه التي يقصدها كل صباح.

تحجرت في مكاني عندما فوجئت به ممددا بجوار الرصيف وقد فارق الحياة ..يرقد فى سلام واستسلام .. كانت تلك هى المرة الأولى التى أراه فيها مستسلما ..عرفته دائما مكافحا عزيز النفس قوى الإرادة، يأبى أن يكسب قوت يومه الا بعرقه وكده ومجهوده .. لم تمنعه ساقه المكسورة من أن يسعى طوال اليوم ومعظم الليل باحثا فى كل الدروب عما يسد به رمقه...نظراته فيها جدية غريبة..وكأنه يقول :تلك هى الحياة..كفاح ومشقة.لم يمت جوعا ،بل مات غدرا وقسوة،لم يتطوع أحد ليرفعه من حيث رقد رقدته الأخيرة.سالت دموعى وأنا أستعيد صورته فى خيالى،وهو يصعد السلالم أو وهو يعبر الطريق وسط زحام السيارات.. راض وقانع بما قسمه الله له.

مات القط الطيب ذو الساق المكسورة .. استكمالا للغدر والقسوة .. قتلته سيارة وهو ملتصق بالرصيف .. كتلك التى كسرت ساقه لاأدرى متى .. لك الله أيها القط الطيب.

إنسانية

لم يكن الأستاذ خيري متحمسا للانصراف من مكتبه عندما أشارت الساعة المعلقة على الجدار المواجه لمقعده إلى الرابعة عصرا، فقد شعر بأنه في حاجة إلى بعض الاسترخاء والهدوء بعد يوم حفل بالمناقشات التي تحفها الخلافات والجدل والتي تمثل شيئا طبيعيا في مهمته ومهمة من يعملون معه في تلك الإدارة المسئولة عن تقدير وصرف تعويضات متضرري الكوارث الطبيعية والحوادث الجسيمة.

تعلم من وظيفته الكثير، فلا فرق بين متعلم وأمي، ولاغني ولافقير عندما يتعلق الأمر بالنقود، غالبيتهم يتفنن في تعظيم مطالبه والمبالغة في وصف الأضرار، وفي سبيل ذلك فإن الكثير منهم لايمانع في تقديم البيانات والمستندات التي تعزز ادعائه والتي يعرفون كيف يحصلون عليها من الجهات المختلفة مقابل جنيهات قليلة لاتقارن بما يتوقعون الحصول عليه بموجبها من مبالغ كبيرة، فيشترون من أجلها الذمم .

تعلم أيضا أن الكثيرين ليس لديهم مانع من القسم بأغلظ الأيمان، وأحيانا بالطلاق ليؤكد صحة مايدعيه.

كان الأستاذ خيرى يعيش هذا الجدل معظم ساعات النهار، ولكنه لم يكن ليأبه به، فخبرته تساعده على تمييز الطيب من الخبيث، فيقابل الانفعلات المصطنعة بهدوء حقيقي، ويظل صابرا حتى يرسخ الحق ويثبته.

كانت العبارة الشهيرة المكررة التي يسمعها من العاملين معه في نهاية كل يوم:

— كان يوما شاقا، توترت فيه الأعصاب، وهاجمنا الصداع.

ولم تعد مثل هذه الأمور غريبة عليهم، فقد ألفوها وتعودوا عليها وأجادوا الصمود أمامها، وكانوا ينظرون إلى اللافتة المعلقة في مكان واضح وتقول: المواطن دائما على حق.

أسند ظهره وتمدد في مقعده وأغمض عينيه وغفا قليلا قبل أن يشرع في لملمة حاجاته ويتخذ طريقه مغادرا مكتبه. لم يخطر بباله أن يستخدم المصعد ليهبط به الأدوار التي تفصله عن باب العمارة، فقد مل الجلوس إلى مكتبه معظم اليوم وهاهي الفرصة لتحريك مفاصله، فأخذ طريقه إلى الدرج هابطا حتى لمح موظف الأمن فوقف يداعبه بكلمات خفيفة كعادته كل يوم قبل أن يودعه متجها إلى حيث تقف سيارته في روتين يومي اعتاده دون ملل.

كانت الساعة تقترب من الخامسة، والطريق يشهد كثافة وعشوائية ولاأثر لأي سلطة متواجدة للسيطرة على حركة السيارات وتنظيمها، وأصبح كل قائد سيارة كقائد في حرب متتعددة الأطراف، أو كلاعب في لعبة إلكترونية عليه أن يصل بسيارته إلى الهدف المحدد لها.

لم يكن المشهد غريبا على خيري، فقد اعتاده في معظم الأيام، إلا أنه في هذا اليوم بالذات شعر بأنه

ليس لديه المزيد من التحمل ليكمل اللعبة السخيفة التي كثيرا مايضطر إليها حتى يبلغ بيته.

خطر له أن يسلك طريقا آخر، يتجه إلى المتجر الكبير القريب من مقر عمله، لعل الحال قد تهدأ بعد حين وتسهل الحركة، وأيضا ليستمتع بهوايته في التسوق.

ما إن اتخذ طريق المتجر حتى شعر بالفارق الكبير، فالطريق سهل ميسر حتى إذا بلغ المتجر اكتمل ارتياحه عندما وجد مكانا في الجهة المقابلة ليترك فيها سيارته في أمان.

خطا خطوات قليلة متجها إلى باب المتجر، استوقفه مازحم عينيه وشتت أفكاره: رجلان يجذبان شابا بينهما من ذراعيه حتى كادا ينزعانهما من كتفيه بقسوة واضحة ، وجمع من الناس ينهالون عليه ركلا ولكما وسبا ، والمسكين كمن سقط في بئر قد نضب ماؤه فتلقفته الحجارة بلا رحمة.

ترامى إلى مسامعه أنهم قد أمسكوا به وهو يحاول أن يفتح سيارة أحدهم. وكأنه لم يسمع ولم ير. فوسط كل هذا الضجيج تصيدت عينا الشاب عيني خيري، فلم يعد يرى إلا وجه هذا الشاب المسكين، وكأن الشاب أيضا لم يكن يرى إلا وجه خيري.

صاح الشاب فيه راجيا، بل متوسلا :

— الحقنى يابيه .. هايموتوني.

سأل خيري نفسه في حيرة: لماذا أنا بالذات؟ ولم يفكر في الإجابة، فقد غلبته دموعه ووجد نفسه مندفعا في اتجاه الشاب المسكين، وحتى يصل إلى حيث كان، فقد نال نصيبه: بعضا من الركلات واللكمات، والتي كان يشيح بوجهه يمينا ويسارا محاولا تفاديها، ويحرك ذراعيه في عشوائية كمن سقط في البحر وهو لايعرف السباحة، حتى وصل إلى الشاب، فارتمى عليه واحتضنه وأخذ يلهث بعدما توقف الآخرون عن الضرب، فلما استجمع بعضا من قواه صاح فيهم:

— حـرام عليكـم .. ميـة بيضربـوا واحـد؟! مافيـش رحمـة؟! يعـني هـو كان سـرق؟!

همهـم الجمـع وتصايحـوا واختلطـت أصواتهـم وهـم يتفرقـون مبتعديـن عـن المـكان، وخـيرى مـازال محتضنـا الشـاب وهـو يربـت علـى ظهـره مطمئنـا إيـاه، حتـى هـدأ روعـه فانحنـى الشـاب محـاولا تقبيـل يـد خـيرى الـذي سـارع بسـحب يـده قائـلا:

— استغفر الله العظيم.

عـدل مـن ملابسـه الـتي نالهـا الكثـير، واتخـذ طريقـه إلى بـاب المتجـر وقـد أفـرغ الكثـير مـن شـحنات كانـت كامنـة في صـدره، وانتابـه ارتيـاح غامـر بعـد هـذه الواقعـة الغريبـة والـتي لم تكـن لتخطـر لـه علـى بـال، وشـعر أنـه كان إنسـانا كمـا يحـب دائمـا أن يكـون.

امتـلأت عربـة التسـوق الـتي كان يدفعهـا أمامـه في طرقـات المتجـر بمـا لـذ وطـاب وبأشـياء لم يكـن في حسـبانه أن يشـتريها، ولكنـه كان سـعيدا منتشـيا

حتى تقدم للمحاسبة، وأخذ موظف الخزينة يحصي مشترياته بآلته الحاسبة، بينما يقوم زميل له بتعبئة تلك المشتريات في عبوات مختلفة حسب نوعياتها، ودون أن يلتفت إليه أو يرفع عينيه عن شاشة آلته، قال المحاسب:

— ستمية اتنين وتمانين يابيه.

لم يفاجأ خيري ولم يبد اهتماما، مد يده في جيب سترته الداخلي الأيمن، فالأيسر، ثم الجيوب الخارجية، فجيوب البنطال، كلها خالية تماما، لقد سرقوه، بل جردوه، ترى من هم؟

إنه هو، ذلك الشاب المسكين الذي سلبه كل شئ دون أن يشعر ودون أن يأخذ له رأيا، ومضى بريئا سعيدا، وتركه حزينا مسكينا.

كان كل مايشغله أن يراه من كانوا متجمعين حول الشاب يضربونه حتى خلصه من أيديهم، أطل برأسه خارج باب المتجر، لم ير منهم أحدا، هرول إلى حيث

تـرك سـيارته في الجهـة المقابلـة، لم يجدهـا، تحسـس جيوبـه مـرة أخـرى، أيـن مفتاح السـيارة؟ لقد فهـم الآن.

جـرى كالمجنـون في اتجـاه لايـدري مـؤداه، كل مـن رآه وعـرف حكايتـه تعجـب واندهـش، وجـرى وراءه.

★★★

مجرمة

كان اليوم هو الخميس، موعد المؤتمر الذي دعي لحضوره بالأسكندرية، ورغم قيمة هذه الدعوة وأهمية حضوره لهذا المؤتمر، لم يكن يشعر في داخله بالحماس لحضوره، ولكنه لايملك حرية الاعتذار، كان يحلم أن تصحبه لتؤنس طريقه وتطيب إقامته وليظفرا بيومين على شواطئ الأسكندرية بعيدا عن طاحونة العمل التي ألقته بالقاهرة وقذفت بها إلى أسوان.

هي: امرأة خلقت له، تداخلت دروب حياتها وتقاطعت حتى أصبحت لغزا محيرا لم يحل حتى التقيا، امرأة على فطرتها، لاتجيد المكر ولا الكذب، بل لاتعرفهما مطلقا، تعشقه وتهفو إليه، تفتخر بكل شئ فيه، تفهمه وتحسه تماما كما يعرف نفسه ويحسها.

هو: كآتٍ من صحراء قاحلة قاسية، يعرف قيمة الحياة ولايملكها، وجد عندها كل ماكان على وشك اليأس من الحصول عليه، سكن عالمها وتشبث

بأرضها، دعاها للزواج فلم تناقشه، في الموعد تلاقيا وعقدا القران، ذهل المأذون بشخصيتها وتعجب من حبها لهذا الرجل، لاشروط ولاجزاءات ولا احتياطات، خرجت تحمله فوق رأسها، ومازال قابعا هناك.

شهور ثلاث قد مضت دون أن يجمعهما لقاء، الأمل لاينقطع أبدا، فهما على يقين أنهما إلى لقاء، فروحه لاتغادرها وروحها لاتغادره.

كانت الساعة تقترب من السابعة والربع صباحا عندما تقدم نحو شباك التذاكر بمحطة القطارات:

— تذكرتين درجة أولى من فضلك.

— الأسكندرية؟

— أيوه .. ميعاد الساعة تمانية.

نظر إليها في حنان ... احتضنته بعينيها ... ربتت على قلبه بابتسامتها، في الكافتيريا اشترى لها الشيكولاتة التي تحبها، وضعتها أمامها،

أحسـت أنـه عطشـان، مـدت يدهـا بكـوب المـاء إلى فيـه، ارتـوى، قبـل اليـد الـتي روتـه، احتضنـت يـده بكلتـا يديهـا، انحنـت وقبلتهـا.

لم يعـد يـرى هـؤلاء الذين ملأوا المكان حولـه في انتظار القطـار، اقـترب أحدهـم يسـتأذنه أن يأخـذ المقعـد الـذي يـراه أمامـه خاليـا، رفـع رأسـه ونظـر إليـه باسـتغراب:

— حضرتك مش شايف المدام؟

— عفوا .. أنا آسف .. ماشفتهاش.

عاد بنظره وقلبه إليها:

— ناس مايعرفوش الذوق.

أعلنـت الشاشـة المعلقـة أمامـه وكذلـك إذاعـة المحطة عـن رحلـة قطـار الثامنـة المتجهـة إلى الأسـكندرية، فتحـت أبـواب القطـار ودعـي المسـافرون للركـوب، قدمهـا ومشـى خلفهـا تسـبقها ذراعيـه بعـد أن علـق حقيبتـه علـى كتفـه حتـى إذا أدرك البـاب زاحمـه شـاب

مـن الـركاب، دفعـه برفـق:

– ياأخي انتظر لما المدام تركب براحتها.

برقـت عينـا الرجـل ولم يفهـم شـيئا، ولكنـه تراجـع قليـلا وانتظـره حتـى ركـب وصعـد خلفـه.

المقعديــن ١٥ و ١٦ ، هاهمــا، أجلســها إلى جــوار النافـذة حتـى تشـاهد الطريـق، انتظـر حتـى اسـتقرت في مقعدهـا، لم تغـادر عيناهـا النظـر إلى وجهـه، مـدت يدها وبرفـق أجلسـته في مقعـده إلى جوارهـا، أخـذت في تعديل هندامـه، أعـادت تلـك الشـعيرات الـتي تبعثـرت علـى جبينـه إلى مكانهـا علـى رأسـه، خلعت نظارته ومسـحت زجاجتيهـا برفـق ثـم برفـق أكثـر أعادتهـا إلى عينيـه، هو مستسـلم كالطفـل بـين يـدي أمه، مسـتمتع كأهـل الجنة.

مـر أكثـر مـن سـاعتين حتـى بلـغ القطـار محطـة سـيدي جابـر، لم يشـعرا ببعـد المسـافة ولاطـول الوقـت، إنـه الحـب كمـا أراده الله أن يكـون بـين البشـر سـببا لـكل شـئ جميـل علـى الأرض.

— تاكسي .. فندق الرمال الذهبية من فضلك.

فتح لها الباب الخلفي وحملها بعينيه، أجلسها ودس نفسه ملتصقا بها، السائق وضع شريطا ورفع صوت الكاسيت، صدحت الألحان والكلمات، صوت أم كلثوم غلالة غلفت العاشقين، الحب كله حبيته فيك .. الحب كله، السائق انتشى وأصابته عدوى السعادة.

في بهو الفندق الذي يتردد عليه دائما، خطا نحو موظف الاستقبال، لم ينتظره الموظف حين رآه، بل هرع إليه فالتقاه في منتصف المسافة، رحب به، حمل عنه حقيبته وتقدمه إلى غرفته التي حجزها منذ يومين، نفس الغرفة التي يقيمان فيها كلما كانا في الأسكندرية، كل العاملين بالفندق يعرفونه جيدا، يعرفون زوجته التي يقول لهم عنها دائما إنها سر حياته.

انصرف موظف الفندق، حملها لتدخل أمامه، برقة بالغة أجلسها على مقعد وثير، رآها في المرآة

الكبيرة التي تكاد تبلغ السقف ارتفاعا، ترنو إليه وترقبه بحنان أم فرحة بطفلها وقد بدأ يخطو في أنحاء الغرفة، لم ير لنفسه صورة في المرآة، جلس إلى جوارها، احتضنها فذابت في صدره، اقتربت شفتاها من أذنه، همست:

— ياروحي.

أضيئت أنوار الدنيا، طغى جمالها، غردت كل الطيور، حتى البوم والغربان، لهث لسانه شكرا لله، دق هاتفه، تناوله، كشف غطاءه، صورتها تملأ الشاشة، سمعها تهمس في حنان:

— باموت فيك ... ياروحي .. كان نفسي أكون معاك.

لثم صورتها على الشاشة، ابتسم وهو يتمتم:

— مجرمة.

الفهرس

أصحـاب التـل ٣
إلا كلمـة ١٩
ليكـن ذلـك غدا ٢٥
يـوم الحـذاء ٣٣
حنـان ٤٧
جدتـى ٥٣
عسـلية ٥٩
الفسـتان الأسـود ٦٧
كاتـب ٧٥
أنـا وبهانـة ٨١
هنـاك أفضـل ٨٧
لـك اللـــه ١٠٣
إنسـانية ١٠٧
مجرمـة ١١٧